

الفائدة السادسة عشر:

أهمية مسائل الإيمان، وبيان الشرك بالله تعالى

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **أَنَا بَعْدُ:**

جاء حبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْمَسَائِلِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، - وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ - يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

فمسألة الإيمان من المسائل المهمة التي ينبغي أن يحققها العبد المسلم؛ إذ أن صلاح الأعمال الظاهرة مشروط بصلاح الأعمال الباطنة.

وهذه الأركان الستة اتفق عليها جميع الرسل؛ إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ بِهَا:

الأول الإيمان بالله، أي: الإيمان بالله ربًّا، مع الرضا به ربًّا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،** ويتضمن هذا الأمر أربعة أركان:

*** الأول الإيمان بوجوده:** فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خالق وما سواه مخلوق، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، كما أنه الآخر الذي ليس بعده شيء، قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٢].

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحریم: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر: ٢٢].

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: ٢٣-٢٤].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: {لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥].

*** الثاني الإيمان بأسمائه وصفاته:** التي ذكرها في كتابه، وذكرها رسوله ﷺ

في صحيح سنته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل بل هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

*** الثالث الإيمان بربوبية:** فنؤمن أنه الخالق، الرازق، المالك، المدبر، قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤].

*** الرابع الإيمان بألوهيته:** فنؤمن بأنه المعبود بحق، وإن عبد غيره فباطل، قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}

[النساء: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦].

فلا يشرك معه غيره لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، فعن عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» (١).

وعن الرُّبَيْعِ بْنِ مُعَوِّذٍ ابْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَعَلْتُ جُوزِيَّاتٍ لَنَا، يَضْرِبُنَّ بِالْدَفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ» (٢).
وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ» (٣).

ولما سمعهم ﷺ يقولون: «مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ» قَالَ: «بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» (٤)، وَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» (٥).

فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحدٍ من المخلوقات؛ ملكًا أو رسولًا، وليًّا أو سيدًا أو شريفًا، وما يفعله كثيرٌ من الناس من تشييد القبور وبناء القباب عليها، ثم صرف العبادات لها، هو نظير ما كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم التي

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، وهو في «الصحیح المسند».

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١٩٦٤)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نصبوها حول الكعبة، قَالَ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ} [النجم: ١٩-٢٠].

عبدوها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويذبحون لها، ويتوسلون بها، مع اعتقادهم أن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر؛ لكن لم ينفعهم هذا الاعتقاد؛ لأنهم أشركوا مع الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [العنكبوت: ٦١-٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢].

فالذي يطوف بالقبر، أو يتعلق قلبه بصاحب القبر، أو ينذر بأرض، أو بيت، أو سيارة، ونحو ذلك للقبر أو صاحب القبر، أو يحلف كذلك بالقبر معظماً له كتعظيمه لله، فكل هذه تناقض التوحيد، وإن قال: أنا أصلي، وأصوم، وأحج، وأعتمر، وأقرأ القرآن، هذا لا ينفعه؛ لأن كفار قريش كانوا يحجون، وكانوا يعتمرون، وكانوا يتصدقون، ويعتقون، كانوا يتقربون إلى الله بنسك، ويتقربون إلى الله بدعاء، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّأكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧].

لكنهم لم يخلصوا العبادة لله، كانوا إذا حجوا قالوا: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكٌ (١).

فيا عباد الله كثرت القبور المعبودة من دون الله عَزَّوَجَلَّ في بلاد المسلمين بين

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أناس يقولون: لا إله إلا الله في صبحهم، وليلهم، وفي أذاناتهم، ومع ذلك لقضاء الحاجة تعلق قلبه بالولي، أو الشريف، أو السيد، أو القبر، وأموههم مدفوعة إلى المقبورين، وهذا لقبة خضير، وهذا للهادي وهذا لابن علوان، وهذا لأبي طير، وهذا للعيدروس، وهذا لغيرهم، حتى قال بعضهم:

لي خمسة هم الحجا ❀❀❀ من نار لظى والحاطمة
المصطفى والمرضى ❀❀❀ وابناهما والفاطمة
وبعضهم يقول:

هات لي منك يا بن موسى إغاثة ❀❀❀ عاجلة في سيرها حثاثة

ومن أشهر الزيارات التي تقع مخالفة لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ما تسمى بزيارة شعب هود، حيث يندرون النذور، وينحرون الجزور، ويحلقون الرؤوس، ويرمون كما يرمي الحجاج عند بيت الله الحرام، فما تركوا من عبادة يتقرب بها الموحدون إلى الله إلا وتقربوا بها إلى تلك القبة المزعومة لهود عَلَيْهِ السَّلَام.

فمن كان من هذا الصنف، أو كان ساحرًا، أو مشركًا، أو منددًا فلم يحقق الإيمان بالله عَزَّجَلَّ، فينبغي أن نحقق هذا الركن العظيم.
والله لا يدخل أحدًا الجنة مهما كان وهو كافر بالله، وهو مضيع لهذا الركن، من لم يؤمن بالله ربًا كما شرع الله عَزَّجَلَّ فليس بمؤمن.
فالله عَزَّجَلَّ حذرَكَ من تصديق الكهَّان، والسحَّار، والمشعوذين، حذرَكَ من عبادة الأصنام، سواءً كان اسمه قبرًا، أو صنمًا.

قَالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).